ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد08، العدد: 02(2023) ص: 216 - 224

ظاهرة السخرية الهادفة في القصة القصيرة "مع حمار الحكيم" لأحمد رضا حوحو

The meaningful irony phenomenon in ahmedridhahouhou's short stories collection "with the Elhakim's donkey"

العلجة هذلي
كلية الآداب واللغات

جامعة محمد بوضياف المسيلة
ص ب 166 اشبيليا، 28000 المسيلة، الجزائر

Laldja.hadli@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2023/02/16
تاريخ القبول:
2023/08/31

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **السخرية الهادفة**
- ✓ **القصة القصيرة**
- ✓ **احمد رضا حوحو**

الملخص:

استطاع الأديب أحمد رضا حوحو أن يرسم بعض معالم القصة القصيرة في الأدب الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي حيث يعد من الأوائل الذين حملوا أمانة الكلمة وإخلاص النضال من أجل تصحيح العقيدة وتنقيتها من الخرافات والبدع وتحرير الشعب من الانحراف الخلقي عن طريق رصد الآفات الاجتماعية ومحاربتها وقد اتخذ من السخرية الهادفة وسيلة لإصلاح المجتمع وتنوير هبأسلوب شيق ساخر، وهذا ما وجدناه في مجموعته القصصية القصيرة "مع حمار الحكيم " .

Article info

Received
16/02/2023
Accepted
31/08/2023

Keywords:
- ✓ *meaningful irony*
- ✓ *short story*
- ✓ *Ahmed RidhaHouhou.*

Abstract:

The author Ahmed RidhaHouhou could design some of the short story features in the Algerian literature throughout the French colonialism period. He's considered as one of those who played the role of correcting the Algerian society's belief and liberating people from the ethical deviation through monitoring and fighting social scourges . He used the meaningful irony as a tool for reforming and enlightening the society with an enjoyable ironical style, whichwe find it in his short stories collection "With theElhakim's donkey".

1. مقدمة:

السخرية ظاهرة حفلت بها كتب ودواوين الكثير من الكتاب والشعراء، ذلك أنها متنفس لهم حيث اتخذوا منها سلاحا فعالا لتصوير واقعهم المرير ورصد انحرافات المجتمع التي نخرت قواه، فالأدب الساخر هو ضحكة مغموسة بألم المعاناة، وقد حاول هؤلاء إصلاح مجتمعهم وتغيير أوضاعه، فأدبهم مرآة تعكس أوجاع الفرد بقالب ساخر يرسم البسمة على الوجه والفرحة على القلب، فقد كان في السخرية قديمها وحديثها قدر كبير من الغمز والهمز وقد كانت السخرية وسيلة لاغاية في ذاتها، فهدفها الأسمى هو إصلاح المجتمع وتنقيته من الشوائب المحيطة به، وفي هذا البحث سأحاول تسليط الضوء على ظاهرة السخرية في القصة الجزائرية القصيرة عموما وعند أحمد رضا حوحو خصوصا وإبراز أسباب شيوعها كثيرا في أدبه وأخيرا تجلياتها من خلال مجموعته القصصية "مع حمار الحكيم" ، فهل كان أدب رضا حوحو لمجرد التسلية والترفيه ؟ أم أنه وسيلة لمعالجة عيوب المجتمع وتنوير الرأي العام خاصة أن الجزائر كانت تئن تحت وطأة المحتل البغيض .

2. مفهوم السخرية لغة واصطلاحا

1.2.لغة:

السخرية: عرف ابن منظور هذه الكلمة فقال، سخر منه وبه سخرا ومسخرا وسخرا بالضم وسخرة وسخريا وسخرية، هزئ به، يقال سخرت منه، ولا يقال سخرت به قال تعالى (لايسخر قوم من قوم) الحجرات، الآية 11 وسخرت من فلان هي اللغة الفصيحة (ابن منظور، صفحة 144) .

السخرة: الضحكة ورجل سخرة: يسخر من الناس... وسخرة: يسخر منه، كذلك والسخرة ما تسخرت من دابة أو خادم بلا أجر ولا ثمن ويقال سخرته... أي قهرته وذللته (نفسه، صفحة 145)، قال تعالى(وسخر الشمس والقمر) الرعد، الآية 2 أي ذللهما...ويعرفها الجواهري بقوله: "سخرت منه أسخر سخرا بالتحريك، وسخرا وسخرا بالضم والاسم السخرية ... وسخره تسخيرا، كلفه عملا بلا أجرة وكذلك سخره والتسخير التذليل، وسخرة بفتح الخاء:أي يسخر منه الناس" (الجواهري، 1999، صفحة353).وبذلك كانت السخرية بمعنى الاستهزاء والتذليل بحيث يلجأ الساخر إلى إظهار عيوب الأخر الجسدية كانت أم نفسية.أما مفهوم السخرية في المعجم الأدبي فهي "نوع من الهزء قوامه الامتناع عن إصباغ المعنى الواقعي كله على الكلمات والإيحاء عن طريق الأسلوب وإلقاء الكلام بعكس ما يقال"(جبور1984م، صفحة138) .وهي بذلك تبحث عن حلول لمشاكل المجتمع بطريقة مغايرة، فهي إذن "نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس انتقاد الرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية الفردية منها والجمعية؛ من خلال عملية المراقبة والرصد واستعمال وسائل التهكم والتقليل من قدرها أو جعلها مثيرة للضحك(شاكر، 2003، صفحة51) .

2.2.اصطلاحا:

السخرية اصطلاحا: لها معان كثيرة ومتنوعة فقد وردت تعريفات شتى لهذا المصطلح منها: السخرية "طريقة في الكلام الذي يعبر به الشخص عن خلاف ما يقصده بالفعل كقولك للبخيل ما أكرمك! "(وهبة والمهندس، 1984 صفحة 198).

ويصفها شوقي ضيف بأرقى أنواع الفكاهة فيقول:" السخرية أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء وخفاء ومكر يستخدم للنكاية بالخصوم فتكون لدغا خالصا، وقد تستخدم في رقة وحينئذ تكون تهكما وذلك لأن اللدغ والتهكم لونان من ألوان السخرية"(ضيف 1958، صفحة 13). ويبقى القاسم المشترك بين هذه المعاني المختلفة هو نقد الواقع ورصد عيوبه بدافع الإصلاح والتنوير.

السخرية كذلك هي:"نوع من نتاج أدب الفكاهة وفن من الفنون الفكاهية وأسلوب من أساليب التعبير عن الواقع الإنساني والاجتماعي والسياسي بعين هازلة لا تخلو من النقد فيعبر بها الشخص على عكس ما يقصده في حالة تهكم واستهزاء (العسكري2012، صفحة5).وعليه فالسخرية وسيلة من وسائل التعبير يستخدم فيها الكاتب ألفاظا تقلب المعنى على عكس ما يريده المتكلم حقيقة وبذلك تعتبر النقد الهازئ لأن غرض الكاتب الساخر هو النقد أولا والإضحاك ثانيا.

والسخرية على ذلك "نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي، الذي يقوم على أساس الانتقاد للرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية، الفردية منها والجماعية.فالساخر يرصد ويراقب ما يجري من أخطاء ويستخدم وسائل وأساليب خاصة في التهكم عليها أو التقليل من قدرها، أو جعلها مثيرة للضحك يقصد من ورائها محاولة التخلص من بعض الخصال والخصائص السلبية في المجتمع"(الضمور 2012، صفحة 16) .

3.2. بين السخرية والتهكم:

إن مصطلح"السخرية" في الأدب العربي يتقاطع مع مجموعة أخرى من الألفاظ والمصطلحات وكلها ذات معنى واحد كالتهكم، الفكاهة، الضحك، الاستهزاء، الاستخفاف، التندير، لكن هناك فرق واضح بينها حيث إن الموضوع الساخر ليس هو النكتة أو الضحك أو التهكم أو الفكاهة، فالسخرية لها دوافعها وأسبابها التي تختلف عن الضحك والتنكيت."فالتهكم مثلا يشترك مع السخرية في كونها بديلا عن الهزأ والتكبر والشعور بالأفضلية أكثر من ذلك فهو يمثل أقصى درجات السخرية، حيث يعظم الموقف النقدي وترتفع حدة الإحساس بالمرارة لينكمش عنصر الإضحاك، ونجد النقد يتجه نحو الهدف يسرد إليه منفصلا عنه، منتصرا عليه معنى ذلك أن المتهكم يسعى لتصوير المتهكم به في أبشع المظاهر التي يمكن أن نتصوره فيها، وبالتالي فالتهكم تدمير للذات وكيانها وهو أقصى من السخرية وأمر منها بل وأشد رفقا على النفس"(سامية 2011، صفحة 10).

فالتهكم هو استخدام الكلام للتعبير عن معنى مغاير للمعنى الحرفي بقصد السخرية فهو (التهكم ليس مجرد أداة أدبية وفنية لصياغة الأعمال الأدبية بل يمكن أن نقول أنه بمثابة منهج استطاع أن يشكل رؤية الأدباء للحياة ذاتها، وبالتالي فإن استخدامهم للأدوات الفنية المتعددة للتهكم يخضع لهذه الرؤية، فالتهكم يتحكم في كل من المشكل والمضمون، ويمثل ركيزة أساسية تنهض عليها أعمالهم) (راغب 1998، صفحة 45). بينما يذهب آخرون أن "التهكم في الأدب لون من ألوان السخرية المتفلسفة أو الفلسفية الساخرة ومن هنا كان التهكم الاجتماعي صورة من نظرة صافية إلى الحياة والإحياء، وإشعاعا من مزاجه وتفكره وهو في الوقت نفسه صورة للمجتمع الذي يتهكم به الساخر... على أن التهكم قد يعتمد على المبالغة كما يعتمد على المفارقة والجمع بين النقيضين لإبراز معالم تجسيم الصورة(النجار، صفحة 123). وهناك أنواع من التهكم ليست كلها صالحة بالطبع "هناك تهكم سمج ثقيل وتهكم مجنح رهيف، وهناك تهكم شرير، وتهكم مزدر أو عطوف، هناك تهكم ساذج وتهكم علم... ومهما تفاوتت أنواع التهكم فإنها تصدر عن طبيعة من يستخدمها وتتأثر بظروف حياته، فكل إنسان ينور عن نفسه كيفما يستطيع" (السيد أحمد 2005 م، صفحة 142).

وهكذا يمكن القول أن الكتاب ينظرون إلى أسلوب التهكم على انه وسيلة تطهيرية، وكابح اجتماعي وأداة عقاب اصطنعها المجتمع، وأحيانا قد يكون وسيلة للترويح عن النفس الغيظ المكتوم خاصة عندما يتعذر التصريح بالمراد إما خوفا من العقوبة أو الردع، فهو إذن بمثابة مرآة صادقة تعكس أحوال الناس والمجتمع.

3.ظاهرة السخرية في القصة الجزائرية القصيرة:

"كانت سمات الأدب الجزائري في فترة النهضة هي القومية ومعاداة الاستعمار، طالما أنه كان أدبا يجاهد من أجل اللغة العربية ويقاوم بصورة قاطعة الاستعمار الذي كان يعمل على تفتيت وتحطيم معاني الشخصية الجزائرية، وهذا الاتجاه كان أكثر وضوحا في أدب المقالة منه في فنون الأدب الأخرى"(خضر 1967 م، صفحة 51).

ويرى عبد المالك مرتاض أن القصة القصيرة الجزائرية نشأت متأخرة عن القصة في المشرق العربي لظروف تتصل بالثقافة العربية وبالأدباء أنفسهم وبثقافتهم الخاصة وبتكوينهم الفكري " الذي ارتبط بالتراث ارتباطا كليا منذ البدايات الأولى للنهضة الأدبية في الجزائر، وارتباط الأدب بالحركة الإصلاحية بدعوتها ومبادئها وأهدافها "(مرتاض 1983، صفحة 200).

والسبب في ذلك أن كتاب القصة أو المقال القصصي هم أعضاء بارزون في الحركة الإصلاحية، وهم أولى من غيرهم بالدفاع عن أفكارهم والتصدي للسموم الاستعمارية.

*ويمكن القول أن القصة الجزائرية ظهرت في صورتها الأولى على شكل مقال قصصي عند "أحمد رضا حوحو" مثلا تناول الموضوعات الإصلاحية، "ولم تختلف عنها كثيرا من حيث الجانب الفني سواء في تنوع الأحداث، أم من حيث الشخصيات، واتسمت عموما بقصر الحجم الذي وحد خصائص القصة القصيرة" (الركيبي 1983، صفحة 43).غير أن أهم ما يلاحظ على القصة القصيرة في هذه الأثناء، هو ضعف الحوار، فهولا يناسب شخصياتها الرئيسية، حيث تطغى عليها شخصية المؤلف خصوصا الثقافية، وبعد الحرب العالمية الثانية تطورت تطورا ملحوظا في الشكل والمضمون واهتم الأدباء برسم شخصياتهم الفنية، كما اهتموا بعناصر السرد والحوار، وتناولوا قضايا جدلية كحرية المرأة في الحب والزواج بالأجنبيات وكذلك الشخصية المنحرفة، التي تتاجر بالدين وتستغله للحصول على المال دون عناء، وقد تركزت مجالات الأدب الساخر في محاور ثلاثة هي:

.رسم الشخصية الكاريكاتورية ويتضح ذلك من خلال وضعها وتحديد تصرفاتها وإشاراتها الظاهرة بغرض السخرية من مواقفها وأعمالها.

.الإلحاح على فكرة نقد المجتمع وعاداته وتقاليده ونقد الاستعمار ومخلفاته.

.وصف الطبيعة والحب وغيرهما من الموضوعات(شريبط 1998، صفحة 23).وهكذا يمكن القول أن السخرية في الأدب الجزائري قبل الثورة " لا تختلف كثيرا عن العنف لأن استخدام سلاح السخرية في الأدب هو في حد ذاته ضرب من العنف، فإنما العنف وقذف الخصم بقذائف من كلام وقصم ظهره بسهام من القول، في حين أن السخرية تهكم معنوي شديد اللدغ، ثقيل الوطء عنيف الوقع (مرتاض1983م، صفحة384).

لقد كان جنوح الكثير من الأدباء الجزائريين في هذه الفترة إلى ظاهرة السخرية إنما بدافع معالجة المواضيع المتصلة بنهضة الأمة وقضايا التربية والتعليم وحرية المرأة وإصلاح الشباب في ظل هيمنة الاستعمار وسيطرته على الأمة الجزائرية، وكان من الكتاب الذين اخذوا على عاتقهم إصلاح المجتمع والنهوض به والتصدي للاستعمار ومخلفاته "من تلك الأمراض الاجتماعية التي ابتلي بها كل مجتمع قاسى استعمارا طويل المدى "(خضر 1967، صفحة 32). أمثال البشير الإبراهيمي وأحمد رضا حوحو عن طريق التصريح أو التلميح أو السخرية.

1.3. أسباب شيوع ظاهرة السخرية في أدب أحمد رضا حوحو:

لم يتح لأدبنا العربي في الجزائر، أن يحظى بكاتب قصصي ينفض عنه ذلك الغبار الذي كان قد أصابه من فعل أصحاب الأسجاع والمقلدين، " حتى جاء الكاتب الكبير أحمد رضا حوحو فنفض عنه هذا الغبار ووثب به إلى مستوى أدب الإنسان في عاطفته وشعوره وفي انفعاله وغضبه حين انبرى

يكتب الأقاصيص ويعالجها " (مرتاض، صفحة 157).وقد استطاع هذا الأديب الكبير أن يوجد له مكانا في الساحة الأدبية من خلال تجربته القصصية الرائدة ، حيث نوع في الأشكال والمضامين ،فهو الأديب الكاتب والناقد الساخر الذي سخر قلمه لرصد انحرافات المجتمع قصد معالجتها. وما مجموعته القصصية "مع حمار الحكيم" ونماذج بشرية إلا دليل على ذلك، حيث عدته الدكتورة عايدة أديب بامية "أبرز كاتب جزائري أولى اهتماما متميزا بالطبيعة البشرية في عصره، فقد التقط موضوعاته من واقع الحياة البشرية بروحه الخفيفة ودقة ملاحظته وعمق موهبته، واتساع ثقافته ومقدرته على تحويل إحساساته الإنسانية إلى أحداث فنية جميلة ومتنوعة"(بامية 1982، صفحة 323). ولونها بطابع السخرية الهادفة التي تكشف عيوب المجتمع وترصد معاناة المواطنين في ظل الاحتلال الفرنسي"وظاهرة السخرية نزعة تكاد تكون عامة في رسم الشخصيات المسرحية لدى حوحو، حيث أننا نلقاه يسخرفي مسرحية "أدباء المظهر" من كاتب أديب بارت كتبه في السوق وزهد الناس في أدبه، لجهلهم أو لكسلهم زهدا تاما فأصبح مهددا بالجوع والضياع (مرتاض،1983، الصفحة 384).وقد تميز الكاتب أحمد رضا حوحو بظاهرتين بارزتين هما: السخرية وبراعة الحوار:

أ-السخرية: تعتبر السخرية ظاهرة شائعة في اغلب آثاره، حتى الجادة منها، يلجأ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه في شؤون الحياة المختلفة، فانتقى لها الألفاظ والتعابير وحرص على اصطياد المفارقات المضحكة بالأحداث أو الشخصيات، بحيث كان للهزل نصيب وافر فيها، وليس غريبا أن يعمد حوحو إلى هذا الأسلوب من الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري تسوده تقاليد معينة في المرأة ورجال الدين واستخدام وسائل الحضارة ويضيف سعد الله " وعندي لو أن حوحو امتهن الرسم لكان أبرع الرسامين في فن الكاريكاتير بالذات،كما يقدم إليك شخصية لها أبعادها ومفهومها فقد يقدم إليك فكرة أو نظرية أو موضوعا أومنظرا وكلها رسوم لها دلالتها في التأثير والتشويق أو الدعاية والنقد " (سعد الله، 2007، الصفحة 92). حيث قدم لنا حوحو عدة شخصيات انتزعها من صميم المجتمع الجزائري، فيها الشيخ الذي يتاجر بالدين وينافق بعمامته وسبحته وفيها النائب الذي اشترى أصوات الناخبين، ثم جلس على الكرسي المذهب وعلى صدره نياشين المستعمر وهناك إلى جانب الشخصيات الأفكار الاجتماعية والسياسية، لكن المهم في السخرية ليس الشخصيات ولا الأفكار بل طريقة العرض والتقديم فكيف يعرض حوحو وكيف يقدم شخصياته ؟ "إنه يبدأ فيرسم الخطوط العامة للشخص الذي حدثك عنه: أكتافه، وجهه، عيناه، قامته، ثم ينتقل إلى المميزات الدقيقة كعادته وطبعه، وأخيرا يتحدث عن آرائه" (نفسه الصفحة92) .

ب-براعة الحوار: برز حوحو كثيرا في استخدام الحوار في أعماله الأدبية المختلفة، وكان حواره يمتاز بالسرعة والجدة والنكتة مما جعله خفيفا على الأذن قريبا إلى القلب، وقد ساعدته شخصيه الحمار "الذي أجرى على لسانه مناقشات كثيرة للمشاكل الاجتماعية والوطنية" على طرافة الحوار وخفته .

ومن هنا نجد أن "أحمد رضا حوحو بارعا في التصوير النفسي براعة فذة ونحن لانتردد في أن نذهب إلى أن رضا حوحو استطاع أن يصور نفسية البطل تصويرا جعلنا نعيش القصة بقلوبنا ونفوسنا وعقولنا "(مرتاض، 1983، الصفحة 180).

وقد ذهبت عايدة أديب بامية إلى عده أبرز كاتب جزائري أولى اهتماما متميزا بالطبيعة البشرية في عصره "فقد التقط موضوعاته من واقع الحياة البشرية بروحه الخفيفة ودقة ملاحظته وعمق موهبته واتساع ثقافته ومقدرته على تحويل إحساساته الإنسانية إلى أحداث فنية جميلة ومتنوعة "

2.3. أسباب لجوء رضا حوحو إلى ظاهرة السخرية:

يعتبر أحمد رضا حوحو رائد القصة القصيرة في الجزائر وقد حمل على عاتقه ضرورة إصلاح المجتمع بمحاربة الجهل وتثقيف العقول لأنه في تلك الفترة كان في معركة حقيقية مع الإستعمار ومخلفاته، وقد اتخذ من القصة الساخرة وسيلة لبعث القيم الأخلاقية والمحافظة على مقومات الأمة

الجزائرية فقد كان "شعور الكاتب بمكانه في تلك المعركة، أين يقف؟ هنا حقا إلى جانب شعبه؟ أيشعر بمشاكل ذلك الشعب؟ هل يجد الشعب صدا لمشاكله في نتاج ذلك الكتاب؟ هل أسهم هذا الكاتب في معركة التحرير؟ وهل سيسهم في معركة البناء؟ " (خضر، 1967، الصفحة89).

لقد استطاع حوحو أن يرصد انحرافات المجتمع الجزائري في فترة الاستعمار ويعالجها بطابع ساخر هادف، وجد صداه عند عامة الشعب وهذا هو دور الأديب نحو مجتمعه " فقد يكون الساخر ناقدا حقيقيا لديه حساسية لنقائص المجتمع، فيسخر بهدف الإصلاح لتكون العملية هنا في قمة العمل الايجابي البناء، ومحاولة لطيفة مهذبة الغرض منها تطهير المجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور"(الضمور، 2012 م، الصفحة2). هكذا كان رضا حوحو يحمل هموم شعبه وآلامه، يعبر عن أمراض المجتمع التي نخرت جسمه في ظل هيمنة المستعمر " فكانت سمات الأدب الجزائري في فترة النهضة هي القومية ومعاداة الإستعمار، طالما أنه كان أدبا يجاهد من أجل اللغة العربية ويقاوم بصورة قاطعة الإستعمار الذي كان يعمل على تفتيت وتحطيم معالم الشخصية الجزائرية"(خضر1960، صفحة51). وقد صدق الشيخ البشير الإبراهيمي حين أعطانا توصيفا عاما للإستعمار ومخلفاته التي تصدى لها المصلحون والبررة من أبناء الجزائر حين قال: "جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن، كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت، والاستعمار سم يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح" (خرفي1983، صفحة38).

4.تجليات السخرية الهادفة في قصة مع "حمار الحكيم ":

يعد أحمد رضا حوحو صاحب أغنى تجربة أدبية جديدة، بل وفاق معاصريه غزارة في الإنتاج وقوة في التعبير، طغت ظاهرة السخرية الهادفة على جل أعماله، ولعل مجموعته القصصية مع حمار الحكيم خير دليل على ذلك حيث استهلها بإهداء طريف جاء فيه: "إلى القراء.. أقدم إليك أيها القارئ الكريم هذه الصفحات الصريحة على حد تعبيري الخاطئ، أو المصرح بها على حد تعبير النحات الصائب، فإن أثارت إعجابك فذلك ماكنت أبغي، وإن أثارت سخطك فذلك ماكنت أنتظر، وإن لم تفعل هذا ولا ذاك، فوا حسرتاه على هذه الجهود الضائعة" (حوحو1983، صفحة 5).

تتكون هذه المجموعة القصصية الساخرة التي تأثر فيها حوحو بالأديب المصري توفيق الحكيم من خلال كتابه -حماري قال لي- تتكون من أربعة عشر قصة قصيرة هي: مع حمار الحكيم – الآداب والفنون – الأدباء والفنانون –نحن والغرب –الزواج – فلسفة الحمار مع القارئ –المجنون – أحزابنا السياسية – الأدب العربي – السعادة – علم التربية .

استهلت المجموعة القصصية بمقدمة للأستاذ عبد الرحمان شيبان جاء فيها: " يمتاز أدب الأستاذ أحمد رضا حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاد ؛ فإنك لاتكاد تقرأ له فصل من فصوله أو قصة من أقاصيصه، أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتى يفاجئك بهذا الثالوث الجميل ..ولا تظن أن كاتبنا يتكلف هذه الخصائص تكلفا أو يسعى إليها سعيا بل إنها تنبعث من نفسه الخفيفة الصادقة الناقدة انبعاثا، فهو خفيف في كلامه، خفيف في نكته، خفيف في حركته وسكونه، وهو يعالج ما يعالج من الشؤون بكل صدق وينظر إلى كل ماتقع عليه عينه بروح نقدية " (نفسه، صفحة 8)

ويذكر الكاتب في مجموعته القصصية لقاءه الأول بهذا المخلوق الذكي الذي يختلف عن سائر بني جنسه، وكانت البداية بقراءة كتاب " حماري قال لي" لصاحبه المصري توفيق الحكيم، ولما غفا رأى فيما يرى النائم اليقظ حمارا صغيرا تبدو عليه علامات الفطنة " فعرفه على الفور دون إشكال أو عناء فقد كان حمار الحكيم برأسه ورجله "(نفسه، صفحة12). ثم أورد لنا حوحو حوارا شيقا مع هذا الحمار

لايخلو من الطرافة والسخرية خاصة عندما سأله عن سبب هذه الزيارة فرد الحمار: "قد استدعيت لأغني في محطة الإذاعة الجزائرية ،قلت تغني في الإذاعة ؟ ياللعجب !
قال وما وجه العجب في ذلك؟، فإن صوتي جميل، فهل تريد أن أسمعك شيئا مجانا دون مقابل ذكره الله في القرآن؟ "(نفسه، صفحة 13).

يضطر هنا رضا حوحو إلى تغيير الحوار خوفا من حماسة الحمار للغناء، فينقلنا إلى مرحلة الحوار الجاد بينه وبين حمار الحكيم، فرغم إصرار ومحاولات هذا الأخير على اختيار موضوع ما أو مشكلة إجتماعية معينة يجدون لها حلا معا إلا أن أحمد رضا حوحو كان يتهرب في الكثير منها . ففي حديثه عن الفلسفة

قال الحمار: هل تريد أن أوحي إليك بشيء من فلسفتي ؟
قال الكاتب: أنت حمار مصري، وأفكارك مصرية جريئة، والحال عندنا غير الحال عندكم في مصر وإني أخشي ألا تقوى معدتنا المكدودة على هضمها " (نفسه، صفحة14).
أما قضية الدين ففي نظر الكاتب هناك دينان فقط، دين رسمي تشرف عليه الحكومة ويحرسه رجالها من موظفي الطرقية، ودين حر يعتقده الشعب ويتزعمه رجال الإصلاح " (نفسه، صفحة16).

إن هوس حوحو أقام منابر عديدة لعرض إشكالات غطت حيزا من اهتمام رجال الفكر والدين والسياسة، فهذان العنصران الأخيران وقف عندهما الكاتب وبرؤية لا تختلف عن سابقتها، فموقف رجال الإصلاح من واجهات ثلاث: "واجهة الكيان الاستعماري، واجهة البدع والخرافات، وواجهة الأحزاب الجزائرية " (عرايبي 1993، صفحة38).
إن استيعاب حوحو للظواهر الاجتماعية وتعرية جانب منها ليطل على القارئ بقفزة في مستوى إدراكه لرسالته الاجتماعية بأسلوب بسيط ورمزية هادفة من خلال التوظيف يوضح معالم الدلالة الاجتماعية في إنتاجه " (نفسه، صفحة 39).
لقد عمل حوحو في مجموعته القصصية مع حمار الحكيم على استنطاق الشخصيات باختلاف جنسها واتجاهها لرصد الظواهر الاجتماعية ومحاولة طرحها في قالب ساخر جذاب " وفق نظرة ساخرة وتهكمية يعمل فيها حمار الحكيم على تمثيل زاوية من الضمير الجمعي في تعامله وإدراكه لحقائق الظواهر وتبيان مستوى النظرة والفهم، متخذا البيئة المصرية منطلقا والقطر الجزائري تربة تستقبل غاية خطابه الهادف إلى التوجيه والإصلاح" (نفسه، صفحة 37).

ولقد عمل حوحو على رصد الانحرافات التي سادت المجتمع الجزائري قبيل الثورة المباركة في محاولة منه لإصلاح ما أمكن إصلاحه أو التنبيه إلى خطورته " ومما لاشك فيه أن البنية الاجتماعية بعد دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر أدى فيها عامل التفكيك لروابط الأسرة انعكاسا سلبيا على مستوى تكوين العلاقة بين الجنسين، فالزواج عند حوحو قاعدة لتثبيت البناء الاجتماعي ومسألة هامة تبدأ من اختيار شريكة الحياة من أمته والانصراف عن الأجنبيات " (نفسه، صفحة نفسها). ففي قصة "الزواج" يتطرق حوحو إلى ظاهرة تفشت في المجتمع الجزائري وهي زواج بعض الشباب المثقف بالأجنبيات وما ينجم عن ذلك من انحلال خلقي واجتماعي وذكر ذلك كله على لسان الحمار المثقف.

قال الحمار: ماذا تعني ؟
قلت: أعني أن تتزوج بأتان أجنبية.
قال: ماهذا الهذيان أأصبت في عقلك ؟!
قلت: أبدا ... فإن الشائع في هذه الأيام هو زواج المثقفين بأجنبيات، وأي مانع في أن يتزوج حمارنا المثقف بأتان تليق بمقامه المحترم" (حوحو، صفحة48).
فثورة حوحو هنا على علاقة يعقدها المثقف مع جنس يراه سببا في تخريب البناء الاجتماعي

قال: أما يكفي هذا الانحلال الاجتماعي والخلقي الذي جره زواج بعض رجالكم من الأجنبيات حتى أضيف إليه انحلالا آخر في فصيلة الحمير.
قلت: كيف ذلك ؟
قال: زواجي من أتان أجنبية تخالفني في الجنس والعادات والتفكير فيه خطورة كبيرة على أخلاقي وعاداتي وتفكيري.
قلت: يبدو أنك تهول الأمر ... ولا تنس أنك أنت الذي ستتزوجها، وعليه فأنت الذي تفرض عليها عاداتك وأخلاقك وتصبها في قالبك .
قال: إنني لم أر حتى الآن حمارا شرقيا تزوج بأتان غربية ولكني أعرف كثيرا من الرجال الشرقيين تزوجوا من نساء أجنبيات ولم أر بينهم من استطاع أن يعرب زوجته الغربية وقليلون جدا الذين لم تفرنجهم أزواجهم " (نفسه، صفحة 48).

ينظر حوحو هنا إلى هذه الظاهرة - التي بدأت تستفحل في المجتمع الجزائري - من باب الإدانة والإنقاص من الشخصية خاصة إذا تعلق الأمر بمثقف يعي أبعاد الظاهرة وانعكاساتها السلبية على بنية المجتمع " فالبعد عند حوحو ينطلق من رؤيتين رؤية تقاس بمدى ماتخلف من آثار اجتماعية لظاهرة الطلاق والعنوسة وما ينجر عنهما من آفات اجتماعية وخلقية، وأما الرؤية الثانية ترى في معادلة الشرق شرق والغرب غربا ولن يلتقيا " (عرايبي 1993، صفحة 38). وهذه النظرة حقيقة بفعل الخلفية الحضارية، فصورة العربي (الجزائري) مشوهة في الذهنية الغربية التي ترى بمنظار الدونية، وإن الغرب قوي والشرق ضعيف وأنهم سادة ونحن خدم ..
جاء في قوله: قلت ثم ماذا ؟
قال: هذه الأسباب العامة التي تتعلق بأخلاق المرأة من حيث هي، ويضاف إليها بالنسبة للأجنبية أنها ترى نفسها أرقى منه عنصرا وأسمى حضارة، ترى نفسها ابنة حاكم وهو ابن محكوم، سيدة وهو مسود " (حوحو، صفحة 50). فالاختلاف هنا بين الجزائري والأجنبية واضح ولا يحتاج إلى دليل، لكن النقد الصارخ موجه إلى شريحة المثقفين الجزائريين كطليعة لا تضع في الميزان حدود الرؤيتين.

5.خاتمة

استطاع الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو أن يخطو بالقصة القصيرة خطوات عملاقة نحو النضج والكمال نظرا لغزارة إنتاجه وتنوع موارده الثقافية، وقد استطاع أن يرسم بعض معالم القصة القصيرة في الأدب الجزائري، وهو يعد من الأوائل الذين جاهدوا بالكلمة من أجل تصحيح العقيدة وتنقيتها من الخرافات والبدع وتحرير الشعب من الانحراف الخلقي عن طريق محاربة الآفات الاجتماعية التي نخرت الأمة. لذلك يمتاز أدبه بطابع السخرية والخفة والإنتقاد في غير تكلف وكانت السخرية الهادفة وسيلة للدفاع عن مبادئ أمته والذود عن قيمها فشاعت هذه الظاهرة كثيرا في أعماله القصصية حتى الجادة منها، ولعل أصدق كلمة وفاء تقال في حقه هي ماجاء في حديث الناقد أبو القاسم سعد الله عن حوحو حين سئل عنه فقال: رحم الله حوحو فقد كان مثال الأديب الذي عاش نظيفا ومات نظيفا .

قائمة المراجع

1- أحمد رضا حوحو: مع حمار الحكيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م .
2- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1996، ج4، ص353.
3- الجوهري: الصحاح، تحقيق إميل بديع يعقوب، ط1، ج2، بيروت ط2، ج1، 1984م.
4- عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار العلم الملاين، ط2، بيروت، 1984م.
5- عبد الحميد شاكر: الفكاهة والضحك رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، العدد289، الكويت، يناير 2003م، ص51.

6– مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة البيان بيروت، ط2، 1984م.7- شوقي ضيف:الفكاهة في مصر، ع83، من كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، 1958م.
8- محمد صالح شريف العسكري: سخرية الماغوط في العصفور الأحدب، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع8، 2012م
9- نزار عبد الله خليل الضمور: السخرية والفكاهة في النثر العباسي دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م .
10- مشنوب سامية: السخرية وتجلياتها الدلالية في القصة الجزائرية المعاصرة، مخطوط ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011م.
11- نبيل راغب: الأدب الساخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
12- محمد رجب النجار: جحا العربي، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت.
13- عزة السيد احمد: فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005م .
14- سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1967م .
15- عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م .
16- عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، الدار العربية للكتاب، ط1، 1983م .
17-شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1998م. .18- عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، (1925-1967)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
19- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م .
20- محمد الصالح خرفي: المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
21- حجاج محجوب عرايبي: دراسات في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، منشورات إبداع، ط1، 1993م .